مجلة الحكمة للدراسات التاريخية
Eissn :2600-6405 Issn : 2353-0472
المجلد 9 /العـدد: 2(2021)، ص: 7-17

إسهامات كونفوشيوس في الجانب التربوي للحضارة الصينية القديمة

عائشة بوطيش[1]

[1]جامعة الجزائر 2- الجزائر

تاريخ الاستلام: 2021/05/05 تاريخ القبول: 21 /2021/05 تاريخ النشر: 2021/06/01

ملخص:

تكتسي التربية أهمية كبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات، فلا يمكن الحديث عن أي حضارة دون الإشارة والتركيز على جانبها التربوي.

حظيت التربية باهتمام كبير من مختلف الحضارات عبر حقب زمنية متعددة في مناطق جغرافية متباينة، ولا شك ان الصين باعتبارها إحدى الحضارات الشرقية القديمة، قد خصصت مكانة مرموقة للتربية والتعليم، ويعتبر كونفوشيوس من أهم المفكرين الذين اهتموا بالجانب التربوي وقدموا إسهامات عديدة من اللبنة الأساسية لبناء نظام تربوي صيني مزاوج بين العادات والتقاليد ومختلف الاقتباسات التي أخذت عن الحضارات الأخرى القريبة جغرافيا ما يدحض النظرية الأوربية " المركزية الغربية" القائمة على أساس أن كل علوم ومعارف العالم منبعه اليونان فقط.

ويكمن الفكر التربوي لكونفوشيوس في انه ركز على تأسيس مدرسة بكل قرية ضمانا منه لمبدأ تكافؤ الفرص، الى جانب تأسيس ثانويات و جامعات على مستوى كل مقاطعة ، مع تحديد السن والمواد المدرسة حسب المراحل الدراسية، وقد أراد كونفوشيوس من وراء هذا تكوين كفاءات مستقبلية.

ولم ينس كونفوشيوس التركيز أيضا على المعلم باعتباره احد أهم عناصر العملية التربوية حيث ركز على ضرورة أن يكون هذا الأخير ملما بالفوارق الفردية الموجودة بين التلاميذ عند إلقائه الدروس ، وان يحاول التدرج عند تقديم

المعلومات من السهل الى الصعب مع مراعاة السن الذي يتعامل معه لما له من أهمية في عملية استيعاب التلميذ لمختلف المعارف والمدركات.

الكلمات المفتاحية: كونفوشيوس، التربية، الصين، الإقطاعية، التعليم.

Abstract :

L'éducation est très importante dans la vie des personnes et de la société, et on ne peut jamais parlé d'une civilisation sans se baser sur le côté éducatif. L'éducation était parmis les intérêts de différentes civilisations, durant des époques différentes et dans des espaces géographiques différents. Comme la Chine, parmis les plus anciennes civilisations orientales, où l'éducation et l'enseignement ont eu une place très importante. Le penseur Confucius s'est intéressé et a contribué au côté éducatif. Il a construit le pillier du système éducatif chinois combinant coutumes et traditions ainsi que des différentes citations prisent d'autres civilisations proches géographiquement. Il réfute la théorie européenne (La centralisation occidentale) basé sur la suprématie des sciences grecques.

Confucius s'est concentré sur la construction d'une école dans chaque village pour assurer le principe d'égalité des chances, et la construction de lycées et d'universités dans chaque région.

Il a précisé l'âge et les matières dans chaque niveau à chaque étape éducative. Le but de ce système était de former des compétences. Confucius s'est basé aussi sur l'enseignant - l'un des principaux éléments éducatifs- qui doivent prendre en considération les différences individuelles des élèves.

مقدمة:

تعتبر التربية قضية مهمة جدا سوءا على الصعيد النفسي أو الاجتماعي فلا يمكن الحديث عن تطور وتقدم اي دولة دون التطرق للتربية باعتبارها من أساسيات تكوين فرد مهيأ لقيادة مسيرة بناء حضارة.

إسهامات كونفوشيوس في الجانب التربوي للحضارة الصينية القديمة

إن الدارسين لمختلف الحضارات القديمة، الأوروبية (اليونانية أو الرومانية) أو حتى الحضارات الشرقية سواء المصرية، الهندية أو الصينية... يلاحظ أنها خصصت جانبا وحيزا كبيرا للتربية في أنظمتها التعليمية ، وبرز العديد من المفكرين والفلاسفة الذين كرسوا حياتهم للبحث في سبل التربية وإيجاد مناهج علمية لها، ولعل كونفوشيوس يعتبر من الفلاسفة الذي ضاع صيتهم مجال التربية ليس في الصين بل العالم .

عاشت الصين في الفترة القديمة فترات بين الاستقرار والحروب مما اثر على الإنتاج العلمي والفكري لمختلف الفلاسفة والمفكرين، فكما يقول ابن خلدون فالإنسان ابن بيئته، فأي مفكر يصطبغ بلغة وأفكار مجتمعه الذي تربى وترعرع فيه، ومن هنا يمكن القول ان المفكر شاهد على عصره من خلال أفكاره.

قبل التطرق للتعريف بكونفوشيوس ومساهماته في الفكر التربوي الصيني، ينبغي الإشارة إلى الأوضاع التي تميزت بها الصين قبيل ولادة كونفوشيوس والتي تعتبر بمثابة إلمام بالظروف التي ستبني شخصية وأفكار مفكرنا.

1-أوضاع الصين قبل ولادة كونفوشيوس:

سادت أوضاع متعددة في عدة مجالات منها ، سيكون لها تأثير كبير في تكوين شخصية كونفوشيوس ، وهو ما سينعكس على إنتاجه الفكري ، ومن أهم هذه الأوضاع نذكر:

***الإقطاعية**[1]: ساد النظام الإقطاعي الصين في الفترات الزمنية التي سبقت ميلاد كونفوشيوس ، حيث تميزت هذه المرحلة بالامتيازات التي تمتع بها الإقطاعيون مما أدى لتوسيع نفوذهم وبالتالي منافسة السلطة الحاكمة.

***اللامركزية**: اعتمدت الملكية الصينية على اللامركزية مما صعب عملية التحكم في الأقاليم، رغم إن اللامركزية من المفروض أنها تساهم في تسهيل عملية السير

الحسن للمؤسسات، لان اللامركزية الصينية لم تخلق تكامل وتعاون بين الأقاليم الصينية.

***اضطراب الأوضاع السياسية**: عاشت الصين فترات اضطرابات سياسية بفعل الانقلابات والاغتيالات التي مست أمراء وأباطرة الصين [2].

2-لمحة عن حياة كونفوشيوس:

بعدما تطرقنا لأهم ما ميز الأوضاع التي سبقت ميلاد كونفوشيوس ، نركز في هذا العنصر للسيرة الذاتية لكونفوشيوس باعتبار الظروف المحيطة بالإنسان تنعكس على بناء شخصيته وأفكاره.

ولد كونفوشيوس الملقب ب " **كونج- فو- تزه" king- fu- tze** ، وتعني كلمة king المعلم في 551 ق.م في مملكة لو lu [3]، توفي والده في سن الثالثة من عمره فقامت والدته برعايته إلى غاية زواجته في سن التاسعة عشر [4]،

عاش كونفوشيوس في ظل نظام اجتماعي طبقي انقسم الى: الحكام، المتعلمون إضافة إلى الفلاحين وهم الغالبية في المجتمع الصيني [5]، وقد تقلد العديد من المناصب ففف 501ق.م عين قاض على مدينة تشونخ تو chung- tu ، إضافة إلى رئيس الوزراء[6]، توفي سنة 447 ق.م.

ألف كونفوشيوس العديد من المؤلفات منها:

***كتاب المتغيرات**: " باهويي كنج" اصدره عام 33ق.م تناول علوم البشرية.

***كتاب الأحداث التاريخية**: هو عبارة عن وثائق تاريخية لعديد الممالك وملوكها.

***كتاب ديوان الغزل**: وهو كتاب تناول عدة قصائد شعرية.

***كتاب المراسيم**: وفيه وصف للطقوس الدينية الصينية القديمة[7].

يعتبر تنوع الإنتاج الفكري لكونفوشيوس دليل على عمق الثقافة والإلمام بمختلف العلوم ، و هو ما سيظهر في أفكاره في مختلف الميادين، والتي سنتطرق للبعض منها في مقالنا حول التربية.

3-التربية عند كونفوشيوس:

قبل التفصيل في موضوع التربية عند كونفوشيوس لا بد من التطرق لبعض التعاريف لمفهوم التربية ، حتى يتسنى لنا القيام بمقارنة لها والاختلافات الموجودة بينها .

تعرف **التربية لغة**: على أنها جاءت من الفعل ربا و يربو أي زاد ويزيد.

كما تعرف أيضا بأنها تبليغ الشئ كماله أو هي تنمية الوظائف النفسية بالتموين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا[8].

ويعرفها أفلاطون[9] بأنها تضفي على الجسم والتنفس كل جمال وكمال ممكن له[10]، بمعنى أن التربية هي العامل الذي يتحكم في جسم وشخصية الإنسان.

ارتكزت التربية الصينية على فلسفة كونفوشيوس ، فهو يرى أن التربية دون تفكير عمل ضائع[11] ، فالتربية حسبه ليست مجرد أوامر وقوانين تنفذ بل هي إهمال وتصرفات مدركة.

وقد ركز كونفوشيوس على الأخلاق باعتبارها جوهر التعليم، فالمتعلم ليكتسب السلوك الجيد عليه دراسة الفنون،
الموسيقى والرماية لأنها تهذب السلوك[12].

يقوم الفكر التربوي الصيني على أساس خمس علاقات اجتماعية، هي: العلاقة بين الزوج والزوجة، العلاقة بين الأب والابن، العلاقة بين الأخ وأخته، العلاقة بين الأسرة والأسر الأخرى[13].

وقد انطلق كونفوشيوس في بناء فكره التربوي على أساس بناء الأسرة وهما الزوجان ثم الأب وابنه فالأخ وأخته فأخيرا علاقة الأسرة بالأسر الأخرى، وهما نكون أمام المجتمع.

واكد كونفوشيوس على أهمية العائلة في تكوين الجين (الضمير) ، لان العائلة تمثل البنية الاجتماعية المباشرة للطفل، حيث انه يتعلم الاحترام من أسرته[14].

لقد وجد كونفوشيوس أن أسلوب الثورة صعب، إن لم يكن مستحيلا في ظل الأسرة الحاكمة آنذاك ، فرأى انه لا مفر من اللجوء لأسلوب التربية من اجل تغيير الأوضاع الصينية، لهذا لجأ إلى اعتماد عدة شروط للتعليم، المتعلم والمعلم المثاليين.

أ- **التعليم** : يرى كونفوشيوس انه لا يمكن تطبيق أسلوب أو منهج واحد في التربية لدى جميع المجتمعات لوجود فوارق بينها(14)، أو كما يسميها ابن نبي المعادلة الاجتماعية[15].

فالتربية عند كونفوشيوس متعلقة بشروط بغية إعداد فرد مثالي، ومن هذه الشروط نذكر:

- **المساواة:** المساواة بين الناس في مجال كونفوشيوس انه لا يجب أن تكون هناك تفرقة طبقية [17].
- **استمرارية التعلم:** حسب كونفوشيوس فانه يتم تحصيل العلم بصفة مستمرة ليحافظ الفرد على قيمته ومبادئه [18].
- **التعلم والدافع الداخلي:** يرى كونفوشيوس على أن الدافع والرغبة الداخلية للتعلم مهمة جدا [19]، فلا يمكن تلقين التلاميذ العلم دون رغبة فهذا سيؤدي إلى نفورهم منها، فحسب البرنامج التربوي لكونفوشيوس فان تلقين التلميذ معلومات قليل القيمة ما لم يكن مصحوبا بالتوازن العاطفي[20].

ب- **المتعلم:** يعتبر المتعلم احد أهم عناصر العملية التربوية ، وقد أعطاه كونفوشيوس أهمية كبيرة ، سواء عندما كان معلما أو عندما أصبح مفكرا يعنى بالتربية، ومن أهم الشروط التي ركز عليها كونفوشيوس في جانب المتعلم نذكر:

إسهامات كونفوشيوس في الجانب التربوي للحضارة الصينية القديمة

- **التواضع**: وهو مهم جدا في تكوين شخصية المتعلم، فالمتواضع بإمكانه الزيادة والتوسع والاطلاع على مختلف المعارف والمعلومات، عكس المغرور الذي يكتفي بما وصل إليه ، لأنه يرى الكمال في نفسه، لذا فان الغرور مقبرة العظماء.
- **إدراك الحقوق والواجبات**: إن معرفة المرء لواجباته يجعله يدرك واجباته اتجاه الآخرين وبالتالي تمتعه بحقوقه ، فحرية الفرد تنتهي حينما تبدأ حرية الآخرين.
- **التوازن في الحياة**: فالإنسان مطالب بتحقيق التوازن في حياته بين جوانب الحياة المختلفة، حتى لا يعيش في اضطرابا دائما.

ج- **المعلم**: يعتبر المعلم أيضا مهما في العملية التربوية، وهو الأخر ليؤدي واجبه التربوي على أكمل وجه، يجب أن يتصف بجملة من الصفات أجملها كونفوشيوس في النقاط التالية:

- على المعلم إن يكون قدوة لتلاميذه ونموذجا يحتذى به، فاغلبنا عندما كان صغيرا تمنى أن يصبح معلما لأنه تأثر بسلوك أو طريقة تدريس معلم ما.
- استمرار المعلم في التحصيل العلمي، فالعلم بحر لا شاطئ له، فعلى المعلم الإلمام الدائم بمختلف التطورات التي يعرفها العالم ، وعدم الاكتفاء بالمعارف التي يعرفها.
- تنويع وسائل الإيضاح، فقدرات التلاميذ تختلف لهذا لابد للمعلم من مراعاتها من خلال تنوع الوسائل وفق ما يشير إليها علم التنمية البشرية[21].

إن النظام التربوي لكونفوشيوس أراد من ورائه إنشاء أفراد مهيئين مستقبلا للعمل في إصلاح الإدارات ومساعدة الملك [22].

لم تبق أفكار كونفوشيوس مجرد أفكار بل جمعت من طرف تلميذته وأسسوا عليها المدرسة الكونفوشوسية التي أرادت القيام بتغييرات في المجتمع الصيني في جميع الأصعدة.

خاتمة:

من خلال التطرق لموضوع إسهام كونفوشيوس في الفكر التربوي الصيني خلصنا للنتائج التالية:

*حاول كونفوشيوس الإلمام بالبيئة الصينية من اجل صياغة نظرية تربوية تتوافق والمنظومة الاجتماعية والقيمية الصينية

*إن تأثر كونفوشيوس بأفكار أفلاطون دليل على التبادل الفكري والحضاري الذي كان قائما بين الحضارات القديمة ، وهذا ما يدحض فكرة الاستعلاء الغربية ونظرية المركزية الغربية وان اليونان مصدر كل العلوم ، فالحضارة او العلم ما هو إلا تراكم معرفي إنساني.

*تقارب مفاهيم كونفوشيوس مع أفلاطون ، حيث دعى هذا الأخير لتأسيس المدينة الفاضلة وهو ما ذهب إليه كونفوشيوس من خلال الجين " الضمير" الذي يسمح بتأسيس دولة خالية من الصراعات والحروب التي كانت عليه الصين في ظل النظام الإقطاعي.

*يوجد تداخل بين أفكار كونفوشيوس، حيث نلمس مدى ارتباط العديد من المفاهيم كالأخلاق فهي أساسية في بناء الأسرة والنظام التربوي.

*لابد لأي نظام تربوي ان يقوم على ركائز أساسية لا يستقيم التعليم إلا بها ، ومن هذه الشروط: المساواة وإلغاء الفوارق الاجتماعية، استمرارية التعلم، وجود الرغبة في التعلم...

*أكد كونفوشيوس على ان المعلم ينبغي له من الاتصاف بعدة مزايا تمكنه من أن يؤدي رسالته على أكمل وجه، ومن هذه الشروط : ان يكون المعلم قدوة، استمرار المعلم في تحصيله العلمي...

* لم ينس كونفوشيوس المتعلم الذي يعتبر حلقة مهمة جدا في التربية ، حيث انه ركز على ضرورة اتصافه بالتواضع، إدراك حقوقه وواجباته...

إسهامات كونفوشيوس في الجانب التربوي للحضارة الصينية القديمة

* لم تبق أفكار كونفوشيوس حبيسة كتبه الثلاثين بل تأسست بعد وفاته مدرسة للحفاظ عليها ونشرها باعتبارها منهج حياة وليس فلسفة فقط.

الهوامش:

1-**الإقطاعية**: مأخوذة من كلمة اقتطاعية وهي ارض أو قطع أراضي يشرف عليها سيد أو نبيل من اجل الاستفادة منها...، انظر: نيفين ظاهر حسين الكردي، **الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر**، مذكرة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2011، ص159.

2- هـ. ج . كريل، **الفكر الصيني**،ترجمة: عبد الحليم سليم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص 36-38.

3-محمد سليمان حسن، **تيارات الفلسفة الشرقية**، منشورات علاء الدين، دمشق، 1999، ص244.

4-كارل ياسبرس ، **فلاسفة إنسانيون**، ترجمة: عادل العوا،ط3، منشورات عويدات، بيروت- باريس، 1988، ص155-116.

5-محمد سليمان، مرجع سابق، ص245.

6-عزة احمد صيام، **تاريخ الفكر الاجتماعي**،جامعة بنها، 2012، ص9.

7-جمال المرزوقي، **الفكر الشرقي القديم** ، ط1 ، دار الأفاق العربية، القاهرة ، 2001، ص171.

8-**تعريف أفلاطون**: (427-347ق.م) فيلسوف يوناني اشتهر بأفكاره حول المدينة الفاضلة ومدينة الدولة المدينة|، اهم كتبه : جمهورية أفلاطون...انظر: عبد المنعم، **موسوعة الفلسفة والفلاسفة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، د. ت.ط، ص 157.

9- وجدان كاظم عاد الحميد التميمي، **مفهوم التربية من وجهة نظر الفلاسفة**، مجلة كلية التربية، م2، ع1، 2012، ص 60.

10-مروان إسماعيل حمد، **مدخل في العلوم التربوية والسلوكية**، الجامعة الإسلامية، غزة، 2002، ص8-9.

11-جبر يل نجار، **تطور الفكر التربوي**، ط1، م1، مطابع الكريم الحديثة، بيروت، 1980، ص 44.

12-كارل ياسبرس، **مرجع سابق**، ص 124-125.

13-جون كولر ،**مرجع سابق**، ص 340.

14-ج كريل ، **مرجع سابق**، ص49.

15- نجار، **مرجع سابق**، ص 47.

16- كريل، **مرجع سابق**، ص 47.

17- هالة أبو الفتوح احمد، **فلسفة الأخلاق والسياسة- الدولة المدينة- عند كونفوشيوس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، 2000، ص 112-113.

18- **نفسه**، ص108.

19- كريل ، **مرجع سابق**، ص47.

20- هالة أبو الفتوح احمد ، **مرجع سابق**، ص114-115.

21- **نفسه**، ص 117-118.

22-jean bapiste kao, **la philosophie sociale et politique confucianisme**, Édition francisâmes, paris, 2013, p21.